النظام العادل في الاسلام

لفضيلة الخطيب الشيخ سلمان الانباري

قال الله تبارك وتعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون » .

تتجلى لنا هذه الآية الكريمة باسرار عظيمة، وباخلاق عاليه ، وبمعان لايحويها نظام قبل الاسلام ولا بعده ، ومن قرأها بتدبر ، وامعن فيها النظر ، وجدها تصور عالماً في الأخلاق ، ودنيا من السيرة العاليه مالوطبق مفهومها الأصبحنا وقد خلصنا من كل شائبة نقد ، وادركنا ما املناوعدنا ظافرين بالحياة الصحيحه .

تأمل في قوله تعالى « إن الله يأمر بالعدل والاحسان » وتدبر معنى هذه الآية وما جاء فيها من معان وتوجيه . نقد ذكر العلماء وجوهاً منها .

العدل : هو النصافة بين الخلق ، والاحسان الى الناس وهو التفضل ، ولفظ الاحسان جامع لكل خير ، ويغلب عليه استعماله في التبرع بايتاء المال وبذل السعي الجميل .

والعدل : هي التعامل بالاعتدال الذي ليس فيه ميل ولا عوج . والعدل التوحيد ، وقد جاء ذلك عن ابن عباس .

وقيل العدل : في الافعال ، والاحسان في الاقوال ، فلا يفعل الا ماهو عدل ، ولا يقول الا ماهو حسن ، وقيل العدل ، ان ينصف وينتصف ، والاحسان أن ينصف ولا ينتصف .

وقيل: العدل هو استواء السريرة والعلانية، والاحسان ان تكون السريرة احسن من العلانية ، وقد جاء ذلك

والظاهر انه استفاد مالياً من الواثق اكثر من غيره فقد قال اسحاق : ماوصلني احد من الخلفاء بمثل ماوصلني به الواثق ولا كان احد يكرمني اكرامه ، هذا الى جانب مكانته الادبية فقد كان المغنون جميعاً يحضرون مجلس الواثق ومعهم عيدانهم الا اسحاق فانه كان يحضر بلا عود للشرب والمجالسة فان امره الخليفة ان يغني احضر له عوداً فاذا غنى وفرغ سل من بين يديه الى ان يطلبه ، والظاهر ان سبب ذلك ما كان للواثق من مساهمة في هذا الفن وولع بالصنعة نفسها ، وكان يناظر مع اسحاق غير ان اسحاق كان ابرع ، وكان الواثق يعرض عليه صنعة في بعض الاحيان فيصلح فيها ، صنع اسحاق لحناً في يدين وغناه للواثق فاستعاده حتى اخذه واجازه ومن الذين كان يغنيهم من غير الخلفاء الفضل بن الربيع وكانت العلاقة بينهما قوية ، وقدغضب الامين على اسحاق مرة فتشفع اليه الفضل ثم دخل عليه بالانبار وغناه فاطربه واجازه ، وكذلك غنى لطلحة بن طاهر مرارا واخذ جوائزه وغنى لغيرهما من العظماء والمشهورين .

مولده ووفاته

مولده في سنة خمسين ومائة وهي السنة التي ولد فيها الامام الشافعي (رض) . عمي في اواخر عمره قبل موته بسنتين ، وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين بعلة الذرب ، وقيل في شوال سنة ست وثلاثين وقيل توفي يوم الخميس بعد الظهر لخمس خلون من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائتين ، والتأريخ الاول هو الاشهر فيكون عمره خمساً وثمانين سنة رحمه الله . رثاه بعض اصحابه بقوله :

أصبح اللهو تحت التراب ثاوياً في محلة الاحباب
إذ مضى الموصلي وانقرض الانس وحجت مشاهد الاطراب
وبكت آلة المجالس حتى رحم العود عودة المضراب

وقيل هذه المرثية في ابنه إبراهيم والصحيح الاول .

ورثاه ادريس بن ابي حفصة فقال :

سقى الله يا ابن الموصلي بوابل من الغيث قبراً انت فيه مقيم
ذهبت واوحشت الكرام ورعتهم فلا غرو ان يبكي عليك حميم

أهم المراجع : (١) الاغاني (٢) معجم الادباء (٣) وفيات الاعيان (٤) فهرست ابن النديم (٥) مدينة السلام

عن سفيان بن عيينه .

لقد اثبتنا هذه الاقوال بل هذه الارآء في معنى العدل وشفيعه الاحسان لنحصل على نور نهتدي به في طريقنا الى فهم العدل ، أو قل في سلوكنا الى فهم الآية الكريمة ليتصور الناس ويعلموا مقدار مامن الله به عليهم من نظام حر صريح يلزمهم بالفضيله وينهاهم عن الرذيله .

العدل : أول امر تستقر عليـــه الحياة الاجتماعية بل اقوى ركن تستند اليه النظم الكاملة لتسيير الجماهير، فقد قيل [العدل اساس الملك] والعدل كلمة تصور لنا اقصى مايمكن ان يعتنقه العالم المهذب من صفة ، والملك من سيرة ، والعبقري من فهم . فهي بحد ذاتها نبراس يوجه المرء الى مسالك الخير ، ومصداقها ، ينقلهم الى حضيرة السلامة والسعادة ، وهذه النظم العالميه ، والقوانين الدوليه كلها هل استطاعت ان تبني اسسها بغير هذه الكلمه ، وهل تركز بدون ان تعمل بهذا المصداق ، ولكن قل لي بربك هل استطاعت ان توصل هذه الكلمة ومصداقها من طريق الوازع النفسي دون ان تشفع ذلك بالقوة والقسوة بالنظر الى انها جاءت من طريق الفكر المحدود .

اما الكتاب المجيد الذي انزل على نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم ، والذي عالج مرض النفوس من طريق اللطف والعطف ، ومن طريق التفهيم والتلقين ، فقد استطاع ان يسير بالناس قروناً دون مايعكر صفوهم ويؤثر في روحيتهم ودون مايوقع بينهم العداوة والبغضاء ، مراعياً ان النظم التي تفرض على الانسان سريعاً مايعتريها الضعف ويعتورها العدم وقد ثبت منطقياً ان القوة تفنى والعقيدة تبقى ، بل ازيدك ان علماء الاجتماع قرروا ان العقيدة اقوى من القوة ، والوازع الديني هو اسمى وابلغ من الوازع المدني ، ولعل المتصور يتجلى له عند استعراضه الحوادث في التاريخ او عند تأمل بسيط يستخرجه من حياته ومجتمعه اليوم عندما يقيم اقل مقياس بين اليوم والامس ، فيجد ان التكالب اليوم على المادة اوجب الزيغ والانحراف ، بل اوجب النفور والتناكر وهيأ جواً من التباغض يصعب القضاء عليـــه . وهذه المؤسسات العدلية اقيمت لحرب هذه النواحي وهي للآن لم تؤثر اثرها القوي ولم توفق الى القضاء على المجرمين ، بينما كان الاجرام ينقرض بارشاد المرشد، وتصوير العالم، وهيمنة الأخلاقي، ونجد قبلا اذا كلف باليمين امتنع فاخرج السرقه ، واليوم تقام عليه البينات وهو يحلف انواع الايمان فلا يكترث ولايهتم ، كل ذلك يدل على ان الوازع الديني عندما ضعف في النفوس أنتج هذا الشكل من السيرة المزعجة .

وهذه النظم المادية والمبادئ السابيه . بل هذه الارآء التي انتشرت بين طبقات الشباب ، عدنا لانستفيد منها سوى التمرد والعصيان، وسوى الاستنكار والنقد الفارغ ، فلا نظم صحيحة تؤثر ، ولا دين قويم يعمل به، قد غمرتهم موجة من الاضطراب واستولى عليهم ارتباك ، فلا موجه ولا مرشد ، ولا هاد ولا معلم ، وهذا القرآن العظيم كفى به زاجراً وواعظاً لمن تدبر آياته اذ يقول : (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) وانما جمع بين الاوصاف الثلاثة في النهي مع ان الكل منكر فاحش ليبين بذلك تفصيل مانهى عنه ، لأن الفحشاء قد يكون مايفعله الانسان من القبيح مما لايظهره ، والمنكر مايظهره للناس مما يوجب عليهم انكاره ، والبغي مايتطاول به من الظلم لغيره .

فجدير باخواننا الذين اوتوا نصيباً من الرأي ، وقسطاً من الحكمة أن يعتبروا ويرشدوا ويوجهوا إخوانهم للرجوع الى هذه التعاليم ، والعمل بهذه النظم الالهية ، ويوفقوا بين الرأي والدين ، وبين الحكمة والحياة ، لينالوا سعادة الدارين ويفوزوا في النشأتين ، وليعيشوا بسلام آمنين ، في حضيرة ملؤها الوداعة واللطف «وان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون» .

سلمان الانباري

للسيد موسى الطالقاني

بين نار الهوى ونار الصدود ... كم قلوب ذابت لنا وكبود
حام قلبي بابن اللمى مثلما قد ... حامت الناس بابنة العنقود
قد نظرنا لماك ياريم نجد ... فوجدنا الحتوف دون الورود
نظرة خلفت نواظرنا اليو ... م باسر الدموع والتسهيد
كلما قلت قد سلوت هواه ... شب بين الضلوع ذات الوقوع
قلت يامهجتي امتلأت من الوجد ... فقالت ياشوق هل من مزيد
قلت ذوبي اسى فقالت فذا ... الاوجه البيض والعيون السود